مجالس الأدب:

فى إحدى ليالى رمضان

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

[تثبت فيما يلى نص الحوار الطريف الذى دار بين ثلاثة من أدباء مصر وشعرائها فى إحدى ليالى رمضان كما أذاعته محطة الشرق الأدنى] ...

٥ — المعرى والجبهة

وما رأى المعرى فى الجن يا أستاذ كامل ؟

كامل : يقول :

فاخشَ المليكَ ولا تَعْبُد على رهَب
إن أنت بالجن فى الظلماء خُشَّيتا
فإنما تلك أخبارٌ مُلفَّقةٌ لخدعة الجاهل الحوشىّ حوشيتا

٦ — شكوى ابن الرومى

عماد : قل لى يا أستاذ كامل . هل كان ابن الرومى كالمعرى يصوم أيضاً ؟

كامل : كان المعرىّ يصوم الدهر مختاراً . وكان ابن الرومى يكاد يصوم الدهر مضطراً ، لأنه لم يكد يظفر بالقوت .

عماد : إذ يقول يا أستاذ كامل ؟

كامل : « فلو كَفٌّ قوتى ماء وجهى صُنْتُه » .

أو يقول :

« لا تَعجبنّ لمرزوق أخى هوج
حظاً تخطّى أصيل الرأى طرّافا
فخالقُ الناس أعراء بلا وَبَرٍ كاسى البهائم أوباراً وأصوافا »

أو يقول مُتبرّماً بحظه :

« إن للحظّ كيمياء إذا ما مسّ كلباً أحاله إنسانا »

أو يقول :

« حُرمت فى سنّى وفى ميسَتى قِراىَ من دنيا تَضيّفتها
لهفى على الدنيا ، وهل لهفة تُنصف منها ، إن تَلهّفتها »

إلى آخر ما يقول مما يفيض به ديوانه .

٧ — ابن الرومى وشهر الصوم

عبد الغنى : ولكن هل كان يحب رمضان ؟

كامل : كانت تجهدُه أيامه بقدر ما تبهجه لياليه .

عبد الغنى : إذ يقول يا أستاذ كامل ؟

كامل : من طرائفه فى هذا الباب قوله مداعباً :

« أذمُّه غيرَ وقت فيه أحمدُه من العشاء إلى أن تسمع الديكه »

عماد : هذا بيت رائع ، فهل تذكر إخوته ؟

كامل :

« شهر الصيام وإن عظمت حُرْمته
شهر ثقيلٌ بطىء الظلّ والحركه
يمشى الهوينى ، فأما حين يطلبنا
فلا السُّلَيْكُ يُدانيه ولا السُّلَكه
يا صدق من قال أيام مباركة
إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه »

٨ — بياض الشيب

عبد الغنى : ولكن قل لى يا عماد إن الشعرات البيض فى رأسك تكاد تظفر بالشعرات السود ، فلماذا لا تعمد إلى الخضاب تسود به ما ابيضّ من شعرك كما يفعل كثيرون ، وكما فعل ابن الرومى حيث يقول :

يابياض المشيب سودت وجهى عند بيض الوجوه سوّد العيون

وبهذه المناسبة هل تذكر يا أستاذ كامل شيئاً لابن الرومى فى المشيب ؟

كامل : كثير ، ولكن هيهات يُنسى قوله :

أما رأيت الدهر كيف يجرى يثبت ما أكتمه من عمرى
بأحرف يخطها فى شعرى يمحو بها غض الشباب النضر
إذا محا سطراً بدا فى سطر

عبد الغنى : والآن أجبنى يا أستاذ عماد لماذا لا تعمد إلى الخضاب ؟

عماد : إنى لا أحب الكذب فى الشعر وأنا لا أحبه أيضاً فى الشَّعر . ومع ذلك فأنا مقيد بقسم قديم لا أستطيع التحلل منه الآن .

عبد الغني : وما هو هذا القسم ؟

عماد : قد تطغى على النفس البشرية في الشباب ساعات يأس أليم تبغض إليها الشباب حتى لتحسب سعادتها في الشيخوخة، وذلك رغبة في الانتقال من حال إلى حال . لا لأن الشيخوخة سعيدة في حقيقتها ، وقد قلت في شبابي الباكر قصيدة يأس أذكر منها هذه الأبيات الغريرة :

قل يا رعى الله الشيب ... ولا رعى الله الشباب
عهد بلوت عهوده ... فإذا بأغلبها كذاب
حلو على مُرِّ فهل ... يرضيك من هذين صاب
من لي بظهر قد تأطّ ... ر أو بيوم يقال شاب
آليت ثمّ أليّة ... أن لا عمدت إلى الخضاب

٩ — ليلة الوزة

عبد الغني : أذكر يا أستاذ كامل . أن الصحف والمجلات منذ خمسة عشر عاماً أشارت إلى ليلة من ليالي رمضان أقيمت في دارك وأطلقت عليها : « ليلة الوزة » اجتمع فيها على مائدتك الزنكلوني وأحمد حسنين وشوقي والهراوي والمهياوي وصادق عنبر وأحمد عيسى وأبو العيون ودراز ، ولا أزال أذكر منها الأبيات التالية :

« هذا هو المجلس ، لا تذكروا ... شبيهه في الصفو لا تذكروا
رأيت فيه كيف أضحت به ... حقيقة مَرْئيّة عَبْقَر
كان زكي باشا ، إلى جنبه ... زعيمُ سوريا الحرُّ شَهْبَنْدر
وكان هرّاويُّ الرقيق الدقي ... ق ، واللغوي صادق عنبرُ

فما حكاية هذه الليلة ؟

كامل : جاء ولدي ذات صباح متهللا يُبشرني بأن الوَزّة التي طارت من بيتنا منذ يومين إلى بيت الجيران عادت إلينا . وكان بعض الأدباء حاضراً فقال متظرفا : « ما دمت قد وجدت الوزة الضائعة فقد وجب عليك أن تدعوني إلى الإفطار عليها غداً . فأجبته إلى اقتراحه ، وجاء ثان وثالث ورابع وخامس وسادس وصاحبنا لا يكف عن تظرفه ، ولا يفتأ يروي قصة الوزة ثم يختمها قائلا :

والكيلاني يدعوك إلى الإفطار غداً على هذه الوزة ابتهاجاً بعودتها . فيقبل صاحبنا الدعوة في غير تردد .

فلما رأيته يتمادى فيما يظنه إحراجاً لي وهو — لو علم — مصدرُ سرور وبهجة ، قابلت تحدّيه بمثله ، فرحت أدعو بقية أصحابي تلفونياً إلى الفطور بعد أن أوجز لهم القصة ، حتى تجاوز عددهم الأربعين .

ولا أكتمكما أن تظرُّفَ صاحبي — مضافاً إليه انسياق معه في التحدي — قد جَنَيا على كبش لم يكن له في هذه الجناية يد ، كما جنيا على جماعة أخرى من ذوات الأجنحة تكفي لإطعام أربعين أديباً ، من بينهم أديبان ، كلاهما — علم الله — جديرٌ أن يكون أمة وحده .

وقد استولى المرح على الحاضرين حين سمعوا أحد الأديبين يشكو أضراسه وهو يطحن الأكل طحناً ، وعلا هتافهم حين سمعوا قول ابن الرومي :

على أنه ينعَى إلى كل صاحب ... ضروساً له تأتي على الثور والكبش

يخبر عنها أنّ فيها تَثَلُّماً ... وذلكم أدهى وأوكد للجرش

ألم تعلموا أن الرحى — عند نقرها — وتجريشها — تأتي على الصلب والهشّ

وكانت ليلة أنس حافلة قلّ أن يجود بمثلها الزمن . وتوسطت الوزةُ المائدة ولم يفكر أحد في لمسها وتمزيق لحمها شكراً لما أسدته إلينا من جميل ، بما هيأت لنا من اجتماع سعيد . وقد اجتمع الحاضرون على تخصيص الليلة كلها لأبرع ما يعرفون من حكايات الوَز .

١٠ — ساق الوزة

عماد : بمناسبة اشتغالك بجحا يا أستاذ كامل في هذه الأيام هل كان لجحا نصيب من حكايات الوَزّ .

كامل : نصيب الأسد . فقد ظفِرَتْ بعضُ حكاياته — على عادتها — بالجائزة الأولى . وخلاصتها أن الجوع استبد به ذات مرة ، فاضطره إلى التهام ساق الوزة المشوية قبل قدوم صاحبه .

فلما سأله في ذلك قال :

ألا تعلم أن للوز ساقاً واحدة ؟

واشتدّ اللجاج بينهما فخرجا إلى حديقة الدار — وكان يوماً